أخرى تضيئها أفلا تغنى هذه الدقائق والعنصر الذي منهُ تنبعث ؟ هذا سؤال اجاب عنهُ المسيو كوري والمسيو بكريل فانهما بعد الاختبارات المتعددة وجدا ان دقائق الراديوم المنبعثة منهُ تُنقص حقيقةً جرمهُ لكنَّ هذا النقصان لا يُكترث لهُ فانَّ ما يذهب منهُ بانتشار دقائقهِ لا يتجاوز الدِسغرام في الف الف سنة اعني انهُ يفقد في هذه القرون العديدة ما لا يربي على كبر حبَّة القمح

فترى مما تقدَّم ما في وجود الاجسام المشعَّة عموماً والراديوم خصوصاً من العجائب التي تدهش العقول وتفتن الالباب . وكل هذه الاكتشافات قد ظهرت في كميَّة صغرى من مركَّب الراديوم فاذا ما تمكَّن العلماء من استخلاص قَدْر كبير منهُ وافرازهِ من هذه المركَّبات لا ريب في انهم يجدون ما هو اعظم من ذلك ويُجلون الحقيقة عن عدَّة امور مكنونة فيميطون عنها الاستار التي حجبتها حتى الآن . فيا ليت شعري كيف ينكر الملحدون بعد ذلك وجود الخالق ويُعمون بصائرهم دون نظر اعمالهِ . افلا يسوغ تكرار قول الشاعر :

فيا عجباً كيف يعصي الالـ ـه كيف يجحدهُ الجاحدُ
وفي كلّ شيء لهُ آيةٌ تدلُّ على انهُ الواحدُ
وفي كلّ تحريكةٍ وتسكينةٍ في الورى شاهدُ (١

حبيس بحيرة قدس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني (تابع لما سبق)

فلمَّا دخلت راحيل الى الكنيسة السابق ذكرها سارت بقدم مرتجفة الى ناحية الدرابزين لعلها متى قربت من بيت القربان تصل شكواها باوفر سرعة الى مسامع العليّ . وهناك خرَّت على ركبتيها وبعد ان صلَّت مدة بدموع حارة رفعت عينيها فشاهدت

١) قد اخذنا كثيراً من هذه الفوائد من مقالات المسيو بكريل والمسيو كوري المثبتة في الكتاب المنون Rapports présentés au Congrés international de Physique réuni à Paris en 1900 (T. III, 47-115) . وراجع ايضاً في مجلة الابحاث مقالةً حسنة للاب يوسف دي جوانيس اليسوعي Etudes, 5 *Janvier* 1902, pp. 96-121

على الدرابزين صورةً تمثل تراع السيد المخلص في بستان الزيتون وذراعاهُ مبسوطتان ووجههُ كئيب وعيناهُ مرتفعتان الى العلى وكانت الصورة صُنع مصوّر ماهر فتخيّلت راحيل حالما وقع بصرها عليها ان المخلص يتلفّظ بهذه الكلمات: « الهي الهي لماذا تركتني » فاخذت هي تهتف وتقول:

الهي لماذا تركتني ؟ الهي لماذا سمحت للمحبة ان تعظم في قلبي مع معرفتك بانها ستصير لي آلة عذاب وألم ؟ . . . مولاي اني لا افهم ولا اعقل وانّى لخليقةٍ حقيرةٍ نظيري ان تحكم على عنايتك المسجود لها . ولكن اسألك ان تشفق على ضعفي . اشفق ايضاً على ذين زوجي الذي لا ازال احبُّهُ . . ارثِ لانفراد قلبينا . . . واذا اردتَ فانت قادر على كل شيء . . .

وكانت العتمة تزيد كثافةً في الكنيسة ولم يكن سوى الصدى من مجيب لشكوى تلك القرينة المهملة التي اخذت بعد ذلك تتوسّل الى ربها قائلة:

« ألا تجاوبني يا ربي ؟ كلاَّ انهُ لمن المحال ان تستعمل قدرتك لتعذيب خلائقك لانك قد احتملت العذاب من اجل الكل . . الهي دع بوارق الامل ترمض في سماني . الهي كما كان الاعلاَّء ينطرحون على قدميك في ايام حياتك الطبيعيَّة طالبين منك البر والشفاء هكذا انا ايضاً اتقدّم اليك منسحقةً ذليلةً . لست انا شيئاً وانت كل شيء . أما انت القائل: « تعالوا اليَّ جميعاً ايها المتعبون وانا أُريحكم » فانا بالاعتماد على كلامك قد جئت منطرحةً في هيكلك . . . وانت فاحص القلوب تعلم كم أُقاسي من العذاب وتعرف ان قلبي الذليل بريٌ من الارجاس التي لاجلها يكابد . . . كانت والدتي في ايام طفوليَّتي تعلّمني ان اضمَّ يديَّ الصغيرتين امامك وتقول لي انك « رب رؤوف رحيم » وهذا اول وصف عرفتك به وهو الكمال الوحيد الذي اريد ان اعلمهُ منك . . . رُحماك رُحماك . . . أجبني يا الهي . . . »

غير ان السيد المسيح ابى في تلك الساعة ان يخفض بصرهُ حنوًّا على الخليقة الضعيفة المنحنية عند قدميه . وتلك الصورة الفاقدة الحس المتعودة من ادهار واجيال مشاهدة احزان البشر وارياعهم سمعت صراخ راحيل الذي اطلقها به عظم شقائها فلم تتحرَّك بالشفقة عليها

ولكن يا تُرى هل كفَّ المسيح عن ان يكون هو المسيح . وهل غشَّنا الانجيل لمَّا

مثل المخلص باكيًا مع الحزانى متشفقًا على الجوع ومشاركًا احبـاءهُ في ارجاءهم. لا لعمري لكنَّ الساعة لم تأتِ بعد لنجاتها فعند ذلك هتفت تلك المسكينة صارخةً باعلى صوتها:

لقد انكسر قلبي يا ربي والهي فلماذا لا تجاوبني ؟

وكانت الظلمة والوحشة تزيدان في الكنيسة وما كانت راحيل تسمع فيهـا غير صدى تنهداتها مع زفير خفيف من المصابيح الموقدة امام الهيكل فخرجت كئيبة يئسة دون ان تسمع كلمة تعزيها في مصابها او تُشعر بالشفقة على شقائها. ومع انهـا كانت قد وعدت الحبيس بان تعود اليـهِ في آخر الشهر لتخبرهُ عن حالها استقرَّت في مكانها وكانت تقول في نفسها : ماذا يجديني السفر الى الحبيس وقد اعماني الخالق اعمالًا نهائيًا. ولذلك خالجها الريب في كل شيء. وعدمت ما كان لها من الثقة في الله تعالى وفي الاب يوحنَّا. . . وكثيرًا ما كانت تتوهَّم ان الحبيس استهزأ بهـا فسلاَّها بتسلية باطلة. وعلى ذلك فكان وجعها عظيمًا وشعورهـا بان الله والناس اعماوها كان يزيدهُ شدَّةً والمًا.

وكان زين قد سافر بغتةً الى بئر اَي قائلًا ان غيبتهُ عن البترون تطول عدَّة اسابيع. وكان قبل ذلك بمدةٍ قـد اخذ يُكثر من الاسفار ويستثقل الاقامة في البترون بعشرة قرينتهِ. وكان اقل الاسباب يحملهُ على السفر فتارةً كان يخرج للصيد وحينًا لزيارة بعض المقدَّمين رصفائهِ وآخر لتفقد املاكهِ واراضيهِ. وكان في اكثر اسفاره يستصحب موسى خادم راحيل ويظهر لهُ ثقة غير اعتيادية. ولمعرفتهِ بمحبة الخادم المذكور للاب يوحنَّا كان كثيرًا ما يحدّثهُ عنهُ وبهذه الوسيلة علم منهُ ان الاب المذكور محبوس في جزيرة بجيرة قدس. وفي احدى المرات اتفق لموسى على غير انتبـاه ان اخبر مولاه بزيارتهِ للحبيس السابق ذكرهُ. اما زين فتظاهر بعدم الانتباه للخبر ولكنهُ اضمر انهُ سيعود مرَّة اخرى لمحادثتهِ في هذا الامر

وكان الاضطراب والقلق قد بدأا في مخالجة هذه النفس الشريفة التي ضلَّت حينًا في سبيل محبةٍ اصبحت الآن تحمرُّ منها خجـلًا. وهكذا اخذ زين يلوم نفسهُ على سابق سلوكهِ الملتوي مع قرينتهِ. ولرغبتهِ في التخلُّص من تبكيت الضمير كان يطلب وجوهًا للتسلية مبتعدًا عن البترون حتى لا تتجدَّد اسباب التوبيخ الباطن بدوام مشاهدتهِ لتلك

القرينة الصالحة وعلى ذلك فقد كان يقاسي امرَّ العذاب في داخلهِ ولو انهُ كان يجتهد كل الاجتهاد في ابعاد الافكار القلقة عن حالهِ

كذلك حنة تلك الصبيّة النقيّة والخالية من الغش اخذت هي ايضاً تفتح عينيها وتنتبه لما يجري حولها من الحوادث. فقد كانت حتى هـذا الوقت تقبل من صهرها البشاشة والاكرام والمؤانسة بكل سلامة ضمير ولم تكن ترى في شيء من ذلك شرًّا. ومن كانت نيَّاتهُ قويمةً لا يرى سبباً لاساءة الظن في نيَّات الغير . وقصارى القول ان هذه الابنة الطاهرة كانت من السن في اضيق مدَّاتهِ واحرجها تنظر الى المستقبل بثقةٍ ورجاء كأنَّ المستقبل بيدها ويحملها خلوّها من التجربة والاختبار على ان تأتي احياناً ما يخالف الفطنة والحكمة. وبالنظر الى اطمئنان ضميرها وغبطة باطنها كانت تتعجَّب ممَّا تشاهد حولها من اسباب الازعاج والضيق وممَّا تقف عليـهِ عند كل خطوةٍ من الاحزان والاكدار التي لم تكن تعرف لها علَّةً

وفي ذات يوم دخلت بنتةَ على شقيقتها فرأتها تبكي بدموع سخينة وتضمُّ طفلها الى صدرها وتقبّلهُ بحنوّ وانعطاف والدي وهي تقول: « يا كنزي ويا عزائي الوحيد عند ما يهملني ابوك ! ايها الملاك النقي ليس في وسعك ان تعلم بمـا تقاسي امك من العذاب ! »

فتأثرت حنة شفقةً على اختها واستفهمتهـا عن اسباب حزنها. وكانت راحيل قد اوشكت ان تبوح بسرّها وتعترف بانها غيرى. وممَّن ؟ من شقيقتها... وقالت في ذاتها: ماذا يجديها قهر النفس والاصرار على الكتمان بعد ان سألتها هذه الشقيقة ؟ أما يحقّ لها بل يجب عليها ان تجاوبها وتنبهـا الى خطائها ؟ ولكن اين تذهب وعودها للاب يوحنا ؟ وهل تقدر ان تبوح بشيء يُنزل الغمَّ الشديد بل الموت بعينهِ على قلب شقيقةٍ تعرف هي سلامة سريرتها وطهارة ضميرها ؟

على انَّ من كانت طباعهُ كطباع راحيل قد تشرَّبت حزماً ودرايةً يكون طرح هذه الاسئلة عليهِ بمنزلة حلّ مبرم. ومن ثمَّ كتمت ما في نفسها واجابت جواباً مبهماً ولكنهُ مع غموضهِ ايقظ انتباه شقيقتها. فشعرت هذه كأنَّ حجاباً كثيفاً قد تمزَّق عن بصرها وعلمت ان اختها صارت متزعجةً من وجودها وغائرةً منها فقلقت لهذا الامر جدًّا ولامت نفسها كل اللوم على كونهـا صارت سبباً للتكدر في البيت الذي اضافها وعدَّ

لشتاء شقيقة تحبها كثيرًا فعزمت ان تزايل البترون في اقرب فرصة تتسنى لها

وفي تلك الاثناء كان اخوها الارشيدياقون موسى قد عاد الى طرابلس من سفره الى رومية فكانت عودته حجة اتخذتها للسفر

غير انها ما كادت تبارح البترون حتى شعرت براحيل بسأم الانفراد فعزمت على ان تغتنم الوقت لزيارة حبس بحيرة قدس مرة اخيرة. ولم تكن تقصد من هذه الزيارة ان تسأله نصحًا او مشورة بل ان تودعه الوداع الاخير لانها كانت موقنة بان ليس لشفائها من علاج

٢١

وفي ذات يوم اشتد حره بينما كانت الشمس دانية من الغياب خلف جبال النصيرية بدأت الغيوم الدكناء تتراكم في الجو متكاثفة وكان بين وقت وآخر يومض البرق وتسمع زماجر الرعود من بعيد. وكانت الزوبعة قد تفجرت وقتئذٍ على ظهر الجبال المقابلة للبحر واخذت تمتد حتى ادركت في وقت قريب ناحية حمص. وبينما كانت الرياح الشديدة في وادي النهر الكبير تثير مياه البحيرة حتى قرارها وتصدم الامواج الهائجة مكسرة اياها على السد والجزيرة شوهد قارب يسير فوق الماء مقاليًا بمشقة تلك الامواج المتلاطمة. وكان سطح البحيرة اذ ذاك عبارة عن مساحة فسيحة قد ابيضت كلها من الزوبعة ورشاش الماء وذاك القارب الضعيف في وسطها اشبه بنقطة سوداء ترقص على رؤوس الامواج

وكان اثنان من النوتية يتوليان هذه المرة قيادة القارب لان موسى الخادم صرح بانه لا يستطيع وحده تغلبًا على الامواج ولهذا لما وصل الى قرية قطينة الكائنة بقرب البحيرة ضم اليه رفيقًا آخر بعد استئذان مولاته والتأكيد لها بان المذكور من اهل الثقة والامانة

وكان كل من النوتيين قد لف رأسه بكوفية والقى على كتفيه عباءة لتقيه من الريح ورشاش الامواج وشمر على ذراعيه واقبل على سوق القارب بالمجاديف بهمة ونشاط. وكان المرج الهائج في بعض الاوقات يشتد كثيرًا حتى يوشك ان يُغرق القارب الضعيف مع اولئك الثلاثة الذين حملتهم الجرأة على ركوبه

الا انهم في آخر الامر ذللوا كل صعوبة اعترضتهم وانتهوا الى الجزيرة واردادوا ان

يربطوا القارب بالشاطئ فما استطاعوا نظرًا لشدة الزوبعة فحينئذٍ بقي موسى في القارب لاجل حراسته ونزلت راحيل مع الزوقي الآخر فطلعا الى الذروة التي عليها كان الاب يوحنا قد نصب كوخهُ

وكان الحبيس قد لمحهما من بعيد فاقام ينتظرهما في منزله الحقير الذي كان مُنارًا بنور ضعيف مصفرّ يختلط مع الدخان والشومار . غير انَّ راحيل كانت قد تغيَّرت كل التغيُّر بحيث يصحُّ القول انها صارت غير ما كانت عليه يوم وطئت قدمُها لاول مرَّة ارض الجزيرة لان ذلك الوجه الناضر انقلب ممتقعًا شاحبًا وتلك الشفتان قد تقلَّصتا من طول مدَّة النكد واحتقان الغضب وشهوة التشفّي والانتقام وتلك النار اي نار الحياة التي كانت تجول ملتهبةً في وجنتيها وشفتيها قد انطفأت خامدةً وايَّ خمود . ولكنهما مع هذا كله زادت عيناها اتقادًا واشتعالًا فكانت ترسل نظرات قاسية جافية بدلًا من تلك النظرات العذبة الحلوة التي كانت لها في السابق (ستأتي البقيَّة)

يوحنَّا فم الذهب

ورئاسة بطرس وخلفائه على الكنيسة الجامعة

للاب اميل ريفو اليسوعي (تتمَّة لما سبق)

ان كانت الشواهد السابق ذكرها لامعةً ساطعة لا تدع للمرتاب سبيلًا للشك في انَّ الجليل بين الآباء القديس يوحنا فم الذهب يقرُّ برئاسة بطرس على الرسل وعلى الكنيسة قاطبةً فاننا نجد لهُ ما هو اصرح بيانًا واجلى برهانًا على هذه الحقيقة الجوهريَّة التي هي كالمحكّ تُعرف به بيعة المسيح من سواها

وما هذا البرهان المذكور الَّا شرح الذهبي الفم على قول المسيح لبطرس في سفر يوحنا (٢١: ١٥—١٧) لمَّا ظهر الرب للتلاميذ بعد قيامته عند بحيرة جنَّاسر فسأل سمعان بطرس ثلاثًا ايحبهُ فكان جواب بطرس في الثلاث الدفعات: « نعم يا رب انت تعلم اني احبك » فسلَّم اليه المسيح ثلاث مرَّات ايضًا رعاية خرافه وغنمه بقوله: « ارعَ